

الثاني - كما تقدم في شعر أبي الطيب المتنبي - إذ أحدث النظام العارض فيه المرتبط بالدويلات القضاء على ما كان يراعى في العصبية قبلاً، ولكل زمن اتجاهه. على أنه قد فات الإلماع إلى أن ذلك اللقب استفز الالتفات إليه أنه أحد أبوي قصي الكريمين اللذين تغنى بالانتساب اليهما في بيتيه الماضيين، فبينما حينذاك أن الحقيقة التاريخية تطل علينا منادية بالإفصاح عن أمرين لا بد منهما: أن ذلك العلم الذي ذاع وملاً الأسماع عارض عليها وانطوى وراءه علم ميلادها الموضوع لها من أبويها (ليلي)، وأن ذلك العلم بعدئذ زحم علم زوجها في التمييز لبنيها ومن توالد منهم، بل استأثر به على مر الأيام واختص ان يكون علم القبائل من البنين، والعشائر من الأحفاد، والبطون والأفخاذ والفصائل من حفدة الأحفاد، فأطلق على كل من تناسل من اليأس وخندف بنو خندف. كما وقع التغيير في علم أخي اليأس، وهو الناس، فامتاز علم قيس على الناس، وصار مآل العلمين إلى مصير واحد وهو الاختفاء وراء ما اشتهر لكل منهما من العلمين الجديدين، ولتتبين الأمر جلياً فهاك ما كان، لترى إلى أين صار.

شبل مضر: اليأس والناس

إن مضر أحد بني نزار الأربعة، والباقون: ربيعة وإياد وأنمار، قد تزوج جرهمية ديدن العرب في التزويج إلى القربات للنجاة، فولد لهما اليأس والناس، وما لبثا حتى انتشر نسلهما وملاً الأصقاع، فكان منه جمهرة العرب الذين احتازوا معظم الجزيرة، وضربوا خيامهم في سرتها وأطرافها، وضرب بهم المثل في الكثرة والبأس والنجدة، مع رعايتهم قرابة العمومة والاحتفاظ بها كلما حزب الأمر وشتت الغارات، ومع اختفاء اسمي أبويهما واستبدال علمين آخرين اشتهرا على الألسنة، وطبعاً للإستبدال مناسبات اتفاقية تطراً فينفذ حكمها دون معارضة وصد لها حدث أيا كان، وكثر ما كان ذلك في كل عصر وحين، وبين طهرانينا أمثلة لا تحصى ولا تستقصى.

كان البدل في الناس (قيس علان) وسبق بإسهاب بيان ما قيل فيه، والبدل